المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكّمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ والوثائق والمخطوطات والآثار



تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ـ دولة المقر

العددان : ٤١، ٤٢ السنة السادسة عشرة
١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م

المؤرخ العربي

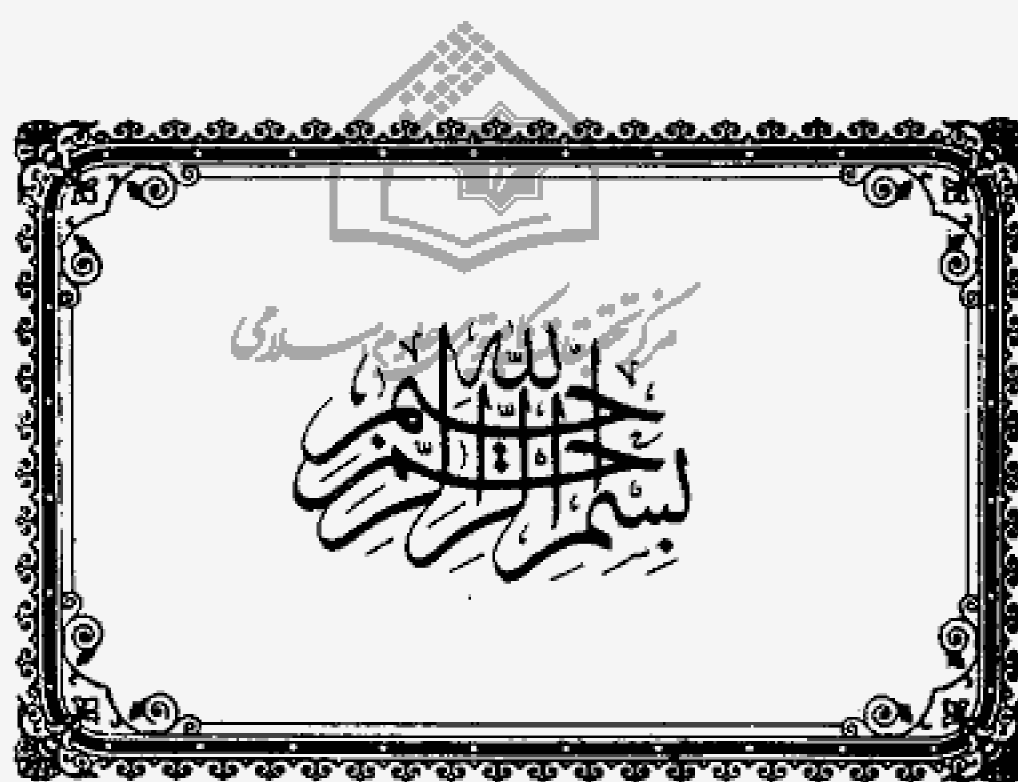
مجلة فصلية تاريخية محكّمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ والوثائق والمخطوطات والآثار



تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ــ دولة المقر

العددان : ٤١، ٤٢ السنة السادسة عشرة

١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

تم طباعة هذين العددين من مجلة المؤرخ العربي على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية المعظم.

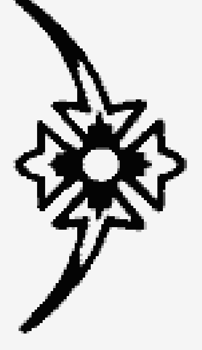


طبع في مطبعة الجامعة الأردنية - عمّان

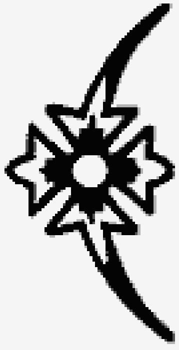
هيئة التحرير

شروط نشر البحوث في المجلـــة

١ ـ أن يعتمد البحث الأسس العلمية في إعداد وكتابة البحث.
٢ ـ أن يكون منسجمـاً مع أهداف اتحاد المؤرخين العرب.
٣ ـ أن لا يزيد عدد صفحاته عن (٥٠) صفحة.
٤ ـ أن لا يكون قد سبق نشره أو قبل للنشر في مجلة اخرى، على أن يقدم كاتب البحث تعهداً يؤكد ذلك مرفقاً برسالة مع البحث موجهة إلى مدير التحرير.
٥ ـ تقبل البحوث في جميع فروع المعرفة التاريخية، وباللغتين العربية والانجليزية.
٦ ـ يطبع عنوان البحث على ورقة مستقلة، ويفضل أن يكون مختصراً، وتثبت إسم الباحث أو أسمـاء الباحثين الكاملة والعنوان لكل منهم.
٧ ـ يطبع البحث على وجه واحد من الورقة، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص، ويقدم بنسختين.
٨ ـ بالنسبة للبحوث المقدمة إلى المؤتمرات أو الندوات أو كان مستلاً من رسالة أو إشراف عليها مقدِّم البحث يؤشر ذلك في حاشية البحث.
٩ ـ لأمور فنية خاصة بالطباعة يجب أن توحَّد الهوامش الخاصة بالبحث من أول هامش في البحث إلى آخر هامش فيه، وتعطى تسلسلاً واحداً.
١٠ ـ يحال البحث المقدم للنشر إلى خبير مختص ويُعاد إلى كاتبه لإجراء التعديلات المقترحة إن وجدت على أن يُعاد إلى مدير التحرير في غضون خمسة أيام.
١١ ـ رتِّبت البحوث لاعتبارات فنية وهي تعبِّر عن آراء اصحابها مع التأكيد على أن مجلة المؤرخ العربي منبر تاريخي قومي تنطق باسم القضية العربية الكبرى، والبحوث التي ترد للمجلة لا تسترجع إلى أصحابها في حالة عدم نشرها.
١٢ ـ يرجى تدوين إسم الباحث وعنوانه، وعنوان بحثه باللغة الانكليزية.



ترسل البحوث باسم مدير التحرير
ص.ب: (٤٠٨٥) بغداد ـ الجمهورية العراقية
مجلة المؤرخ العربي ـ اتحاد المؤرخين العرب
ت: ٤٤٨٠٠٦



الاشتراكات السنوية في مجلة المؤرخ العربي

١ ـ الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في داخل دولة المقر (٥٠) ديناراً، وفي خارج دولة المقر (١٥٠) دولاراً أمريكياً.
٢ ـ للمؤرخين في داخل دولة المقر (٢٠) ديناراً، وفي خارج دولة المقر (٦٠) دولاراً أمريكياً.
٣ ـ لطلبة التاريخ في داخل دولة المقر (١٠) دنانير، وفي خارج دولة المقر (٣٠) دولاراً أمريكياً.

بطاقة الاشتراكات

مجلة المؤرخ العربي
العنوان:
اتحاد المؤرخين العرب
ص . ب: 4085
العراق: بغداد

150 دولار للمؤسسات الرسمية
60 دولار للمؤرخين
30 دولار لطلبة التاريخ

ارجوا قبول اشتراكي في مجلتكم لمدة سنة واحدة

يرجى ارسال قائمة بالحساب
تجدون طيا صكاً بقيمة .... دولار

الاسم: ....
العنوان: ....
المدينة: ....
القطر: ....
التاريخ: ....



Subscription Card

Please enter my subscription for

One year $ 150.00 for Institutions
$ 60.00 for Historians
$ 30.00 for Students of History

Please bill me

Address:

Union of Arab Historians
P.O.Box: 4085
Baghdad - Iraq

Check enclosed for $..
Name..
Address..
City.............................. Country..............................
Date..

الهيئة الاستشارية لمجلة المؤرخ العربي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيـــم

الافتتاحيـــة

يسرني بمناسبة صدور هذين العددين من مجلة المؤرخ العربي أن أتوجه بجزيل الشكر إلى صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية المعظم لتفضله بطباعتهما على حسابه الخاص، وهذا أمر معروف عن سموه حيث يحرص حفظه الله على رعاية المشاريع الثقافية الوطنية العربية.

كما يسعدني أن أعبر عن شكري لكل من ساهم في اخراج هذين العددين و بخاصة العاملين في مطبعة الجامعة الأردنية والشكر أيضاً موصول لجميع الزملاء الذين قاموا بتدقيق وملاحقة النصوص في مختلف مراحل الطباعة. ونسأل الله أن يوفق اتحاد المؤرخين العرب لخدمة القضايا الأساسية في تاريخنا العربي.

والله ولـــي التوفيـــق

محمد عدنان البخيت

الأمين العام المساعد

لاتحاد المؤرخين العرب

عمان في ٢٨ ذو القعدة ١٤١٠ هـ

٢١ حزيران ١٩٩٠ م



محتويات العددين (٤١، ٤٢)

اولاً : بحوث التاريخ الحديث والمعاصر

ثانياً : (بحوث التاريخ العربي الاسلامي)

●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●

بحوث التاريخ
الحديث والمعاصر




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اولى الإنتصارات العربية في العصر الحديث
طرد البرتغاليين من عمان ١٦٥٨م

د. محمد محمود السروجي
كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية

تعرض العالم العربي والاسلامي منذ أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر لموجة عاتية، تمثلت في طلائع الزحف الأوربي على الشرق. هذه الموجة التي اندفعت من البرتغال عقب خروج العرب من الأندلس، وما كانت تحمله في طياتها من حقد وما كان يشوبها من تعصب. وكانت تهدف الى تعقب العرب في شمالي افريقية وغربها، وضربهم في عقر دارهم، وانتزاع التجارة من أيديهم. ومما يدل على النزعة الصليبية لتلك الحملات البرتغالية ما كتبه الملك عمانويل ملك البرتغال في رسالته الى البابا يوليوس الثاني (عام ١٥٠٥) حيث يقول: «انه ليس عازماً على المضي في قتل التجارة المملوكية فقط، بل انه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفاً لمدافعه وجنوده» (١).

وقد تصدى لهذا الخطر الصليبي المماليك بوصفهم القوة الاسلامية التي تحكم مصر، والتي تمتد ممتلكاتها في البحر الأحمر لتشمل الحجاز واليمن. ومن ثم كان عليهم أن يواجهوه بحزم حفاظاً على مقدسات المسلمين في المقام الأول.

وفي الحقيقة فإن الدولة العثمانية التي كانت تمثل القوة الاسلامية الثانية في منطقة الشرق الأدنى، لم تكن بعيدة عن تلك المشكلة، فقد عاونت الدولة المملوكية في دفع خطر البرتغاليين والقضاء عليهم، من حملة حسين الكردي المملوكية التي تصدت لهذا الخطر في بحار الهند وهزمت في موقعة ديو البحرية ١٥٠٩.

و بعد ان فتح العثمانيون مصر ورثوا فيما ورثوه من ممتلكات مصر المملوكية، خطر التهديد البرتغالي للعالم الاسلامي، كان عليهم أن يتحركوا لمنع البرتغاليين من تطويق شبه الجزيرة العربية بعد أن سيطروا على الذراع الأيمن ممثلا من الخليج العربي، وتطلعوا غرباً للسيطرة على الذراع الأيسر وهو البحر الأحمر.

و يأتي البحر الأحمر في اهتمامات العثمانيين الأولى حيث توجد ممتلكاتهم في مصر والحجاز، فساروا على الاستراتيجية العسكرية التي وضعها المماليك لتأمين البحر الأحمر. على أن يستتبع ذلك تأمين الخليج.

و بعد أن ثبت البرتغاليون أقدامهم على سواحل الهند بدأوا ينفذون خطتهم في تطويق شبه الجزيرة العربية من ناحية الشرق، أي من الخليج العربي، حيث استولوا على بعض الجزر و بدأوا في مهاجمة عمان.

وقبل أن أدخل في تفاصيل الأحداث أرى من المستحسن أن أتعرض لعمان في الفترة السابقة على الاحتلال البرتغالي والممهدة له. فتاريخ عمان فيما بين القرنين العاشر والسادس عشر، يسوده التعتيم وعدم الوضوح، بحيث أطلق على هذه الفترة «العصر المظلم» (٢) و يرجع ذلك لأسباب كثيرة منها ثورة الزنج (٢٥٤ ــ ٢٧٠هـ) وثورة القرامطة من منتصف القرن الثالث الى طليعة القرن الخامس الهجري، وما كان لهاتين الثورتين من آثار مدمرة على الأوضاع الداخلية في عمان.

ثم ابتليت البلاد بالصراع الذي نشب بين النزارية واليمنية، والتجاء الفريق الأول الى محمد بن نور عامل الخليفة العباسي المعتضد طلباً للمساعدة ضد خصومهم. وما أن استقر لهم الأمر حتى انقلبوا عليه فحار بهم ومزّق شملهم (٣).

كذلك قام محمد بن القاسم السلمي عامل المعتضد بالاستقلال عن الخلافة وإقامة دولة في عمان كان من ملوكها أحمد بن الخليل عام ٣٠٠هـ زد على ذلك النزاع الدائم بين الأئمة والسلاطين حول السلطة والحكم، وما ترتب عليه من تدهور في الأوضاع الاقتصادية والسياسية، وما أصيبت البلاد من ضعف واضطراب.

أغرت تلك الأوضاع الداخلية المتردية القوى الخارجية الطامعة في أرض عمان على مهاجمتها، وكان ذلك في عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م حين

١. محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية

٢. وندل فيليبس، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٣١.

٣. نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة آل عمان، مجلدان، تصحيح طفيس الجزائري، القاهرة، ١٣٤٧هـ ١/ ٢٠٩.

هاجم الفرس البلاد في عهد عمر بن نبهان. ولكن هذا العدوان لم يستمر أكثر من أربعة شهور وانحسر بعد ذلك.

تلت هذه الموجة العدوانية واحدة أخرى أشد عنفاً وعتواً، تمثلت في الزحف البرتغالي في أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، حين نجح البرتغاليون في الدوران حول افريقية والوصول الى الهند، ومن ايجاد حالة من الذعر والفزع في المحيط الهندي و بحر العرب، والخليج العربي.

انطلق البرتغاليون من قواعدهم على سواحل الهند الى الخليج لضرب القوى العربية هناك، لا سيما عمان حيث كان لها التفوق الملاحي والتجاري في المحيط الهندي (٤). فضلاً عن الخليج العربي والبحار الشرقية بصفة عامة (٥).

أصيبت قوة عمان البحرية بالضعف نتيجة الضربات البحرية التي نزلت بها من قبل البرتغاليين، ولسياسة الشدة والبطش التي انتهجها البرتغاليون في سبيل بسط سيطرتهم على طرق التجارة البحرية، وإغلاقها في وجوه التجارة العربية. هذا فضلا عن لجوئهم الى إغراقها وإحراقها والتنكيل ببحارتها.

ولما كانت حياة البلدان العربية الساحلية في الخليج تقوم على التجارة التي تدر عليهم الربح الوفير، فإن حرمانها من هذا المورد المالي — وهو عصب الحياة — إضعاف لهم، وكسر شوكتهم.

بدأ التغلغل البرتغالي في الخليج عام ١٥٠٧ حيث غزا القائد البرتغالي البوكيرك Pedro Albuqerque جزيرة هرمز، وأرغم أميرها على دفع غرامة حربية، بالاضافة الى ضريبة سنوية تقدم للسلطات البرتغالية (٦).

ولما خشي البرتغاليون من محاولة الفرس السيطرة على هرمز، وذلك للعلاقات الودية التي تربط أميرها بشاه ايران، فقد عاود البوكيرك غزو الجزيرة مرة أخرى، ورفع عليها علم بلاده، وقضى على سيطرة أمرائها على مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر التي استمرت زهاء قرنين ونصف من الزمان (٧).

لم يكتف البرتغاليون بالاستيلاء على هرمز التي تسيطر سيطرة تامة على مدخل الخليج العربي، بل وجهوا نشاطهم العسكري الى عمان لزيادة إحكام السيطرة، ولايجاد موضع قدم لها في شبه الجزيرة العربية، فاحتلوا في عام ١٥٠٧ صور وقريات ومسقط وصحار. وكان الاستيلاء على صحار قد تم بمساعدة الشيخ عمير بن حمير مستغلاً ضعف النبهانية في ذلك الوقت. و بذلك سقطت جميع منطقة خورفكان في أيديهم (٨). ثم أخذ البرتغاليون في تحصين البلاد بسلسلة من القلاع والحصون التي ما زال بعضها قائماً حتى اليوم.

ومما يدعو الى الدهشة والتساؤل إهمال المؤرخين العمانيين ذكر تفصيلات المقاومة العمانية لعملية الغزو، وكذلك تفصيلات حركة التحرير التي قادها الامام ناصر بن مرشد وخلفاؤه من بعده، والاهتمام الزائد بذكر دقائق معاركهم القبلية المحلية. ولو وجه هؤلاء المؤرخون عنايتهم لما جرى على أرضهم من أحداث هامة، لتوفر لدينا مادة علمية جيدة لبيان كفاح أهل عمان البطولي في مقاومة الاستعمار البرتغالي ودحره.

وعندما احتل البرتغاليون مسقط «قبضوا على عدد كبير من أعيان المدينة ووجهائها، فجدعوا أنوفهم، وقطعوا آذانهم، ونهبوا المدينة وحرقوها بالنار كما أحرقوا قلها وطيوي ودارسيت (٩) ومدينة جلفار» (١٠) واستمروا في تقدمهم، فاحتلوا البحرين والبلدان المجاورة له حتى الكويت (١١).

اتجه البرتغاليون أيضاً الى البحر الأحمر لتنفيذ مخططهم في تطويق شبه الجزيرة، فحاولوا الاستيلاء على عدن أكثر من مرة، ولكنها استعصت عليهم، فعبروا مضيق باب المندب لتهديد البلدان الاسلامية المطلة على شواطئه حتى لا تتجاسر على مد يد المساعدة لإخوانهم في الخليج. فهددوا جدة، خربوا سواكن وزيلع ومصدع التي دخلت في حوزة العثمانيين لحمايتها، ولمنع وقوعها في أيدي البرتغاليين.

كما حمت دويلات الطراز الاسلامي المجاورة للحبشة، الحليف الوحيد للبرتغاليين في هذا البحر. و بإتمام هذا التحالف بدأت حرب صليبية جديدة بينهما و بين القوى الاسلامية، وأهمها المماليك، وحدثت بين المماليك والبرتغاليين موقعة ديو البحرية عام ١٥٠٩، ثم بين الأخيرين والعثمانيين (حملة سليمان الخادم عام ١٥٣٨).

---

٤. Wendell Philips, Oman, A History, Chapter II London 1968

٥. جمال زكريا قاسم، الادعاءات الايرانية في الخليج العربي — أصول المشكلة وتطورها التاريخي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرون ١٩٧٣.

٦. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، الطبعة الثانية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٦١ ص ٤٢.

٧. سيد نوفل، المرجع السابق.

٨.

٩. حرّف صاحب المخطوط هذا الاسم وصحته «ريسوت» (محمد السالمي وناجي عساف، عمان تاريخ يتكلم، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م ص ٨٨.

١٠. عبد الله صالح المطوع، عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان، مخطوط، ورقة ١٧.

١١. نفسه، ورقة ١٨

واذا كان العثمانيون قد نجحوا بعد جهاد مع البرتغاليين استمر فترة من الزمن في اغلاق البحر الأحمر في وجه السفن البرتغالية، حماية للأقطار الاسلامية المطلة عليه، وللأراضي المقدسة في الحجاز، فانهم لم يفلحوا في تحرير البلاد العربية في الخليج من نير البرتغاليين.

ورغم أنهم أحرزوا نصراً كبيراً على الفرس حلفاء (١٢) البرتغاليين وقتئذ، مكنهم من الوصول الى الخليج العربي في يوليو ١٥٣٤، والاقتراب من البرتغاليين في الهند، مما يتيح لهم بناء قواعد عسكرية في الخليج يتخذونها منطلقاً لهم في مواجهتهم للبرتغاليين هناك. إلا أنهم لم يغيروا من استراتيجيتهم الثابتة التي تعتبر ميناء السويس القاعدة الأساسية التي تنطلق منها عملياتهم الحربية ضد البرتغاليين، وتعاونها الموانىء الأخرى في البحر الأحمر مثل الطور(١٣)، والعقبة، والقصير، وجدة، وزيلع، وسواكن، ومصوع وعدن.

كانت فارس تراقب ما يجري في الخليج بتحفز شديد، فعندما شعرت ببدء ضعف قوة البرتغاليين قامت بالاستيلاء على خورفكان بعد انتزاعها من أيديهم في عام ١٦٢٢. ولكن سرعان ما تمكن قائد الحامية البرتغالية في مسقط روى فريردي اندريد **Riy Freire de Andrade** الذي كان مجرد سماع اسمه يرعب سكان المنطقة ــ من استعادة خورفكان من الفرس في العام التالي (١٤).

كان سقوط هرمز نقطة البداية في الانهيار الكبير الذي أصاب الحكم البرتغالي في الخليج (١٥). إذ استطاعت بريطانيا أن تبعد فارس عن البرتغاليين، وأن تقوم بهجوم مشترك معها على هرمز في عام ١٦٢٤، وأن ينجح الطرفان بمعاونة العمانيين في استردادها. وبذلك خسر البرتغاليون أقوى وأهم معقل لهم في مدخل الخليج.

استغل عرب عمان فرصة خروج هرمز من قبضة البرتغاليين، وأعلنوا استقلالهم عن مملكة هرمز (١٦) وواصلوا الإعداد الجيد لطرد البرتغاليين المحتلين من البلاد.

كان قيام دولة اليعاربة في عمان (١٠٣٤ ــ ١١٥١ هـ/١٦٢٤ ــ ١٧٣٨) (١٧) إيذاناً بأفول نجم البرتغاليين، إذ كانت المهمة الرئيسة للإمام ناصر بن مرشد بن سلطان (١٠٣٤ ــ ١٠٥٩ هـ/١٦٢٤ ــ ١٦٤٩م) هي تحرير البلاد من الاحتلال البرتغالي البغيض. وأدرك الامام أن هذا العمل المجيد لن يكتب له النجاح ما لم تتوحد البلاد التي مزقتها المنافسات بين الحكام على السلطة.

هذا من الناحية الداخلية، أما من الناحية الخارجية فكانت الأوضاع الدولية في الخليج تسير في صالحه، إذ بدأت هولنده تدخل ميدان المنافسة مع البرتغاليين عن طريق شركة الهند الشرقية الهولندية،، وتبعتها بريطانيا في هذا المجال، فشاهدت المنطقة منافسة شديدة بين القوى الثلاث للسيطرة عليها (١٨). فساعد هذا الموقف الامام ناصر، إذ شغلت المنافسة البرتغاليين عن التفرغ له كاملا لمواجهة حركة التحرير.

وكان الامام يدرك منذ بداية الأمر أن الحرب بينه و بين البرتغاليين حرب بحرية في المقام الأول (١٩). ولذا أخذ على عاتقه بناء اسطول عربي يعتبر «أول اسطول منظم أصبح في نهاية القرن السابع عشر السفن البحرية الأولى في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي» (٢٠).

وقد استغل الإمام ناصر هذه الفرصة المواتية واستعاد صحار وجلفار من أيدي البرتغاليين (٢١). ثم هاجم مسقط ـ وهي من أقوى معاقلهم ـ في عام ١٦٤٣ فاستعصت عليه، لأن حصونها كانت لا تزال منيعة، كما كان الأسطول البرتغالي يمدها عن طريق البحر بالمؤن والذخائر، وكذلك فعل بميناء مطرح.

ورغم عدم تمكن الامام ناصر من استرجاع المدينتين، إلا أن البرتغاليين دخلوا معه في مفاوضات للصلح، أسفرت عن قبولهم دفع جزية سنوية للإمام، مع هدم التحصينات التي شيدوها في قريات وسمد. وكذلك عدم التعرض للنشاط التجاري العماني. و يدل قبول البرتغاليين هذا الصلح ـ رغم عدم هزيمتهم ــ على أن قوتهم قد أخذت في الضعف، وأن مواصلة العمانيين في الضغط عليهم قد نال منهم كل منال.

كانت مهمة الإمام سلطان بن سيف خليفة الإمام ناصر أن يتم ما بدأه سلفه من قبل، وأن يعمل على طرد البرتغاليين من آخر معقل لهم في مسقط. فأعد لهذا الأمر عدته، ودخل معهم في مناوشات طويلة

١٢. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٨.

١٣. وثائق دير سانت كاترين بسيناء، وثيقة رقم ١٧٠ بتاريخ ٢٠ رجب ١١٢٠ هـ/١٧٠٨م.

١٤. Donald Howley, The Trucial States, London 1970, P. 75

١٥. محمود علي الداود، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٨.

١٦. جمال زكريا قاسم، الادعاءات الايرانية ص ١٦٥.

١٧. حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين المبرهن سيرة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر مرسي، ص ٢٥٠.

١٨. لوريمر، دليل الخليج، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، الدوحة ١٩٦٨/٦٧ ١٦/١.

١٩. جمال زكريا، المرجع السابق ص ١٦٥.

٢٠. محمود علي الداود، المرجع السابق ص ١٨، ١٩.

٢١. Badger, G.P., History of the Imams and Sayyids of Oman, By Salil Bin Razik from A.D. 661 — 1856, P.C.

لاستنزاف قوتهم، ثم باغتهم بهجوم كاسح في عام ١٦٥٨، أرغمهم فيه على الاستسلام بشروط أهمها هدم قلاعهم في مسقط وصور وقريات، والاعتراف بحرية التجارة لجميع الأجناس.

وإذا أردنا أن نتعرف على الأسباب التي عجلت بانهيار نفوذ البرتغاليين في الخليج العربي نجد:

أولاً: ان طبيعة الاستعمار البرتغالي للمنطقة كانت ترتكز على سلسلة من القواعد العسكرية الواقعة على الطريق البحري بين الهند والبرتغال. فلم يتوغل البرتغاليون في عمق البلاد التي استعمروها ـ وما كانوا يستطيعون ذلك لقلّة عدد سكان البرتغال، ولا تساع امبراطوريتهم. وكان الابقاء على تلك القواعد في أيديهم مرهون بقوة البحرية البرتغالية، فلما ضعفت ضاع كل شيء.

ثانياً: كانت حركة المد البرتغالي تمثل الموجة الاستعمارية الأولى المتعطشة للغزو ونهب ثروات الشعوب، وكان الميدان خالياً أمامها، فلما دخلته قوى أوربية أخرى. أكثر منها قوة مثل هولندة و بريطانيا وفرنسا، ولا تقل عنها تطلعاً في أن يكون لها نصيب في الغنيمة يتفق مع ثقلها السياسي والعسكري، لم تقو البرتغال على الصمود.

ثالثاً: أحسن العمانيون اختيار الظروف الدولية المناسبة لتوجيه ضربتهم القاضية ضد الوجود البرتغالي في عمان، فالتنافس الذي ساد العلاقات بين البرتغاليين من جهة، والفرس والهولنديين والانجليز من جهة أخرى، ورغبة الفريق الثاني في القضاء على نفوذ البرتغاليين وابعادهم عن الخليج قد ساعد العمانيين الى حد كبير.

رابعاً: إن اتباع البرتغاليين سياسة الشدة والبطش في معاملتهم للشعوب التي حكموها، إضافة الى استنزافهم لثرواتها ومواردها، زاد في كراهية الشعوب لهم، وجعلها تتحين الفرص المناسبة للخلاص من نيرهم.

خامساً: ان أهم تلك الأسباب جميعها قوة العرب وثقتهم بأنفسهم وتفوقهم في الملاحة البحرية، إذ أدرك العمانيون حقيقة الصراع بينهم و بين البرتغاليين على أنه صراع بحري أولاً وقبل كل شيء. ولذا فقد أعدوا اسطولاً بحرياً مدرباً ومنظماً ومعداً أحسن إعداد، ومن ثم أمكنهم أن يتغلبوا على أهم نقاط القوة لدى البرتغاليين.

ومهما يكن من شيء فان خروج البرتغاليين من عمان قد أثر تأثيراً عميقاً في المنطقة، وترتبت عليه نتائج على درجة كبيرة من الأهمية، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: إن نجاح العمانيين وحدهم في إجلاء البرتغاليين من أرضهم قد رفع من روحهم المعنوية، وأشعرهم بقوتهم، وبمدى ما يمكن أن يقوموا به، فهيأ لهم هذا الفرصة في أن يلعبوا دوراً بارزاً في النشاط البحري في الخليج، ولا سيما منذ منتصف القرن السابع عشر وحتى مطلع القرن التاسع عشر.

ثانياً: أفلح العمانيون في القضاء على سياسة احتكار التجارة التي انتهجها البرتغاليون، وحققوا مبدأ حرية التجارة لجميع الأجناس، فعاد الانتعاش الاقتصادي اليهم، وسيساعدهم هذا على أن يصبحوا قوة مؤثرة في منطقتهم، بل وفي شرق افريقيا كذلك.

ثالثاً: تطلع الفرس في أن يحلوا محل البرتغاليين، وأن تكون لهم الزعامة في الخليج، وساعدتهم بريطانيا على ذلك لأسباب عديدة، منها وجود مصالح هامة لشركة الهند الشرقية الانجليزية في فارس، وكذلك مساعدة الفرس للبريطانيين في القضاء على منافسة الهولنديين في الخليج. أضف الى ذلك عدم وجود تنظيمات عربية تستلفت انتباهها للدخول معها في علاقات مباشرة في ذلك الوقت. وترتب على ذلك دخول فارس في صراع مع العمانيين، وطلب الفرس المساعدة من القوى الاستعمارية الطامعة في الخليج.

رابعاً: إن زوال الوجود البرتغالي من عمان بخاصة ومن الخليج العربي بعامة قد أتاح للقوى العربية أن «تؤكد لنفسها زعامة الخليج» (٢٢). وهذا ما سنلاحظه بشكل واضح في القرن الثامن عشر.

خامساً: أعقب خروج البرتغاليين من الخليج العربي تحركات جماعية أدت الى وجود تشكيلات سياسية استقرت على السواحل الغربية للخليج، تل العتوب في الكويت وامتداد فروعهم في قطر والبحرين.

وخلاصة القول فإن مقاومة العمانيين للإحتلال البرتغالي طوال سني حكمه، ومحاولاتهم المتكررة للخلاص منه، منحتهم خبرة ودراية في معرفة نقاط القوة والضعف فيه، فتجنبوا نقاط قوته بالإعداد لها، واستغلوا مواطن ضعفه، ولم يهنوا ولا استكانوا الى أن فيض الله لهم القيادة الحكيمة الواعية التي أخذت بيدهم الى طريق النصر. فضربوا بذلك المثل ـ في مطلع التاريخ الحديث ـ أن الشعوب اذا ما حزمت أمرها، وجمعت كلمتها على التحرر، فلن تقف أمامها قوة مهما عظمت، وإن طال الأمد.

والله ولي التوفيق.

٢٢. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق ص ١٦٨.